التفسير الكبير

للإمام

الفخر الرازي

الجزء السابع

الطبعة الثانية

الناشر

دار الكتب العلمية

طهران

﴿ الوجه الخامس ﴾ فى التأويل ماقاله أبو بكر الواسطى ، وهو أن المراد (إنى متوفيك) عن شهواتك وحظوظ نفسك ، ثم قال (ورافعك إلى) وذلك لأن من لم يصر فانيا عما سوى الله لا يكون له وصول إلى مقام معرفة الله ، وأيضاً فعيسى لما رفع إلى السماء صار حاله كحال الملائكة فى زوال الشهوة ، والغضب والأخلاق الذميمة .

﴿ والوجه السادس ﴾ إن التوفى أخذ الشىء وافياً ، ولما علم الله إن من الناس من يخطر بباله أن الذى رفعه الله هو روحه لا جسده ذكر هذا الكلام ليدل على أنه عليه الصلاة والسلام رفع بتمامه إلى السماء بروحه وبجسده ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (وما يضرونك من شىء) .

﴿ والوجه السابع ﴾ (إنى متوفيك) أى أجعلك كالمتوفى لأنه إذا رفع إلى السماء وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفى ، وإطلاق اسم الشىء على مايشابهه فى أكثر خواصه وصفاته جائز حسن .

﴿ الوجه الثامن ﴾ إن التوفى هو القبض يقال : وفانى فلان دراهمى وأوفانى وتوفيتها منه ، كما يقال : سلم فلان دراهمى إلى وتسلمتها منه ، وقد يكون أيضاً توفى بمعنى استوفى وعلى كلا الاحتمالين كان إخراجه من الأرض وإصعاده إلى السماء توفيا له .

فان قيل : فعلى هذا الوجه كان التوفى عين الرفع إليه فيصير قوله (ورافعك إلى) تكرارا .

قلنا : قوله (إنى متوفيك) يدل على حصول التوفى وهو جنس تحته أنواع بعضها بالموت وبعضها بالإصعاد إلى السماء ، فلما قال بعده (ورافعك إلى) كان هذا تعيينا للنوع ولم يكن تكرارا .

﴿ الوجه التاسع ﴾ أن يقدر فيه حذف المضاف والتقدير : متوفى عملك بمعنى مستوفى عملك (ورافعك إلى) أى ورافع عملك إلى ، وهو كقوله (إليه يصعد الكلم الطيب) والمراد من هذه الآية أنه تعالى بشره بقبول طاعته وأعماله ، وعرفه أن ما يصل إليه من المتاعب والمشاق فى تمشية دينه وإظهار شريعته من الأعداء فهو لا يضيع أجره ولا يهدم ثوابه ، فهذه جملة الوجوه المذكورة على قول من يجرى الآية على ظاهرها .

﴿الطريق الثانى﴾ وهو قول من قال . لا بد فى الآية من تقديم وتأخير من غير أن يحتاج فيها إلى تقديم أو تأخير ، قالوا . إن قوله (ورافعك إلى) يقتضى إنه رفعه حيا ، والواو لا تقتضى الترتيب ، فلم يبق إلا أن يقول فيها تقديم وتأخير ، والمعنى : أنى رافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالى إياك فى الدنيا ، ومثله من التقديم والتأخير كثير فى القرآن .

واعلم أن الوجوه الكثيرة التى قدمناها تغنى عن التزام مخالفة الظاهر والله أعلم .

والمشبهة يتمسكون بهذه الآية فى إثبات المكان لله تعالى وأنه فى السماء ، وقد دللنا فى المواضع الكثيرة من هذا الكتاب بالدلائل القاطعة على أنه يمتنع كونه تعالى فى المكان فوجب حمل اللفظ

فى التأويل ، وهو من وجوه :

﴿ الوجه الأول ﴾ أن المراد إلى محل كرامتى ، وجعل ذلك رفعا إليه للتفخيم والتعظيم ومثله قوله (إنى ذاهب إلى ربى) وإنما ذهب إبراهيم صلى الله عليه وسلم من العراق إلى الشام وقد يقول السلطان : ارفعوا هذا الأمر إلى القاضى ، وقد يسمى الحجاج زوار الله ، ويسمى المجاورون جيران الله ، والمراد من كل ذلك التفخيم والتعظيم فكذا ههنا .

﴿ الوجه الثانى ﴾ فى التأويل أن يكون قوله (ورافعك إلى) معناه إنه يرفع إلى مكان لا يملك الحكم عليه فيه غير الله لأن فى الأرض قد يتولى الخلق أنواع الأحكام فأما السموات فلا حاكم هناك فى الحقيقة وفى الظاهر إلا الله .

﴿ الوجه الثالث ﴾ إن بتقدير القول بأن الله فى مكان لم يكن ارتفاع عيسى إلى ذلك سببا لانتفاعه وفرحه بل إنما ينتفع بذلك لو وجد هناك مطلوبه من الثواب والروح والراحة والريحان ، فعلى كلا القولين لابد من حمل اللفظ على أن المراد : ورافعك إلى محل ثوابك ومجازاتك ، وإذا كان لابد من إضمار ما ذكرناه لم يبق فى الآية دلالة على إثبات المكان لله تعالى .

﴿ الصفة الثالثة ﴾ من صفات عيسى قوله تعالى (ومطهرك من الذين كفروا) والمعنى مخرجك من بينهم ومفرق بينك وبينهم ، وكما عظم شأنه بلفظ الرفع إليه أخبر عن معنى التخليص بلفظ التطهير وكل ذلك يدل على المبالغة فى إعلاء شأنه وتعظيم منصبه عند الله تعالى .

﴿ الصفة الرابعة ﴾ قوله (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة) وجهان (الأول) أن المعنى : الذين اتبعوا دين عيسى يكونون فوق الذين كفروا به ، وهم اليهود بالقهر والسلطان والاستعلاء إلى يوم القيامة ، فيكون ذلك إخبارا عن ذل اليهود وإنهم يكونون مقهورين إلى يوم القيامة ، فأما الذين اتبعوا المسيح عليه السلام فهم الذين كانوا يؤمنون بأنه عبد الله ورسوله وأما بعد الإسلام فهم المسلمون ، وأما النصارى فهم وإن أظهروا من أنفسهم موافقته فهم يخالفونه أشد المخالفة من حيث أن صريح العقل يشهد أنه عليه السلام ما كان يرضى بشىء مما يقوله هؤلاء الجهال ، ومع ذلك فانا نرى أن دولة النصارى فى الدنيا أعظم وأقوى من أمر اليهود فلا نرى فى طرف من أطراف الدنيا ملكا يهوديا ولا بلدة مملوءة من اليهود بل يكونون أين كانوا بالذلة والمسكنة وأما النصارى فأمرهم بخلاف ذلك (الثانى) المراد من هذه الفوقية الفوقية بالحجة والدليل .

واعلم أن هذه الآية تدل على أن رفعه فى قوله (ورافعك الى) هو الرفعة بالدرجة والمنقبة ، لا بالمكان والجهة ، كما أن الفوقية فى هذه ليست بالمكان بل بالدرجة والرفعة .

أما قوله (ثم الى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) فالمعنى أنه تعالى بشر عيسى عليه السلام بأنه يعطيه فى الدنيا تلك الخواص الشريفة ، والدرجات الرفيعة العالية ، وأما فى القيامة